

## غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

## تَارِيخُ الْغَزْوَةِ:

ذكر ابن إسحاق وبعض علماء السيرة أنها كانت في العام السادس للهجرة، والصحيح الذي ذهب إليه عامة المحققين أنها كانت في شعبان من العام الخامس للهجرة، ومن أبرز أدلة ذلك أن سعد بن معاذ كان حياً في هذه الغزوة، وله ذكر في قصة الإفك التي سيأتى تفصيلها - إن شاء الله - وقد توفي سعد بن معاذ في غزوة بني قريظة سنة خمس من الهجرة كما سيأتى بيان ذلك فكيف يكون سعد حياً بعد عام من وفاته<sup>(١)</sup>!

## أَسْبَابُ الْغَزْوَةِ:

من أهم الأسباب لهذه الغزوة:-

- ١- تأييد هذه القبيلة لقريش واشتراكها معها في معركة أحد ضد المسلمين ضمن كتلة الأحابيش التي اشتركت في المعركة؛ تأييداً لقريش.
- ٢- سيطرة هذه القبيلة على الخط الرئيسي المؤدي إلى مكة فكانت حاجزاً منيعاً من نفوذ المسلمين إلى مكة.
- ٣- أن الرسول ﷺ بلغه أن بنى المصطلق يجمعون له، وكان قاتلهم الحارث بن أبي ضرار ينظم جموعهم فلما سمع بهم خرج إليهم؛ حتى لقيهم على ماء من مياهم يقال له: المريسيق من ناحية قديد إلى الساحل فهزمهم شر هزيمة<sup>(٢)</sup>.

## أَحْدَاثُ الْغَزْوَةِ:

وفى يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة خرج الرسول ﷺ من المدينة في سبعمائة مقاتل وثلاثين فارساً متوجهاً إلى بنى المصطلق<sup>(٣)</sup>، وخرج معه جماعة من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قبلها، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل: أبا ذر، وقيل: نميلة بن عبد الله الليثي وكان الحارث بن أبي ضرار قد وجّه

(١) فقه السيرة للبوطي ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٢٣١ - ٢٣٢).

(٣) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٢٣٢).

عَيْنًا لِيَأْتِيَهُ نَجْرُ الْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ فَالْقَى الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ الْقَبْضَ وَقَتَلُوهُ .

ولما بلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله ﷺ وقتله عينه ، خافوا خوفاً شديداً وتفرق عنهم من كان معهم من العرب ، وانتهى رسول الله ﷺ أصحابه ، وراية المهاجرين مع أبي بكر ، وراية الأنصار مع سعد بن عباد ، فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر رسول الله ﷺ فحملوا حملة رجل واحد فكانت النصره .

وانهزم المشركون وقتل من قتل وسبى رسول الله ﷺ النساء والذراري والنعم والشاء ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد ؛ قتله رجل من الأنصار ظناً منه أنه من العدو (١) .

كذا قال أهل المغازي والسير ، قال ابن القيم : هو وهم ؛ فإنه لم يكن بينهم قتال ، وإنما أغار عليهم على الماء فسبى ذراريهم وأموالهم (٢) .

وروى البخاري عن ابن عون أنه قال : كتبت إلى نافع فكتب إلي : إن النبي ﷺ أغار على بنى المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية ، حدثني به ابن عمر وكان في ذلك الجيش (٣) .

### رَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جُوَيْرِيَّةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ أَوْ لِابْنِ عَمِّ لَهُ (٤) : وَكَاتِبَتُهُ عَلَى نَفْسِهَا وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلُوءَةً مُلَاحَةً (٥) لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهَا فَآتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي فَكْرَهْتُهَا وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيْرِي مِنْهَا مَا رَأَيْتُ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بِنْتُ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمِّ لَهُ فَكَاتِبَتُهُ عَلَى نَفْسِي فَحِثُّكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي قَالَ : فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَقْضِي

(١) سيرة الرسول أبو عمار ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٢) الرحيق المختوم ص ٢٨٧ .

(٣) سيرة الرسول أبو عمار ص ٣٦٣ .

(٤) رواه أحمد ٢٥٨٣٣ .

(٥) ملاحه : شديدة الملاحه .

كُتِبَتْكَ وَأَتَزَوَّجُكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبْرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلُوا مَا بَأْيَدِيهِمْ قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقْتُ بِتَزْوِجِيهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ لِمَا أَغْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَاتٍ عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا»<sup>(١)</sup>.

### إِسْلَامُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضَرَارٍ:

قال ابن هشام: لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث، وكان بذات الجيش، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها وقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء فرغب في بعيرين منها فغيبهما في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبي ﷺ وقال: يا محمد، أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها فقال رسول الله ﷺ: «فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا؟» فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله؛ فوالله ما أطلع على ذلك إلا الله، فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له، وناس من قومه وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما فدفع الإبل إلى النبي ﷺ ودفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت وحسن إسلامها فخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها فزوجه إياها وأصدقها أربعمئة درهم<sup>(٢)</sup>.

### مُحَاوَلَةُ الْمَنَافِقِينَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ إِثَارَةَ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ:

كان رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الغزوة مقيماً على المريسيع ووردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير يقال له: جهجاه الغفاري فزادحم هو وسنان بن وبر الجهني على الماء فاقتتلا، فصرح الجهني: يا معشر الأنصار، وصرح جهجاه: يا معشر المهاجرين فقال رسول الله ﷺ: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنها مُنْتَنَةٌ».

وبلغ ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول فغضب وعنده رهط من قومه؛ فيهم زيد بن أرقم غلام حدث، وقال: أوقد فعلوها قدنا فرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما نحن وهم إلا كما قال الأول: سَمُنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز

(١) ابن هشام (٢ / ٥٤ - ٥٥)

(٢) ابن هشام ٢ / ٥٥ .

منها الأذل أقبل على من حضره فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم؛ أحللتموها بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنها ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم.

فأخبر زيد بن أرقم عمه بالخبر فأخبر عمه رسول الله ﷺ وعنده عمر فقال عمر: مُرَّ عَبْدُ بَنِ بَشْرٍ فَلِيقْتَلَهُ فَقَالَ: «فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكن أذن بالرحيل»، وذلك في ساعة لم يكن يرتحل فيها فارتحل الناس فلقية أسيد بن حضير فحيأه وقال: لقد رحمت في ساعة منكرا ما كنت تروح في مثلها فقال له: «أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟» قال: وأى صاحب يا رسول الله ﷺ قال: «عبد الله بن أبي» قال: «وما قال؟» قال: «زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» قال: فأنت يا رسول الله ﷺ تخرجه منها إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله ارفق به؛ فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز؛ ليتوجوه؛ فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً.

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك؛ حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك؛ حتى أذنتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ؛ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأس من حديث عبد الله بن أبي.

أما ابن أبي فلما علم أن زيد بن أرقم بلغ الخبر جاء إلى رسول الله ﷺ وحلف ما قلت ما قال، ولا تكلمت به فقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل فصدقه، قال زيد: فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَاسَؤْا ثُمَّ كَفَرُوا فطُغِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنَرْجِعَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ

لِيُخْرِجَكَ الْأَعْرَمَ مِمَّا الْأَذَلَّ وَاللَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ .  
[المنافقون: ١ - ٨] فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقرأها علي ثم قال: «إن الله قد صدقك» .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول الذي كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه؛ فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به؛ فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر؛ فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ: بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا» .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتله يوم قلت لي: اقتله لأرعدت<sup>(١)</sup> له أنف لو أمرها اليوم بقتله لقتلته» قال عمر: قد - والله - علمت الأمر؛ رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري<sup>(٢)</sup> .

### حديث الإفك:

وفي منصورف المسلمين من هذه الغزوة كانت حادثة الإفك، وهذا سياق القصة،  
قَالَتْ عَائِشَةُ - رضي الله عنها - كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ<sup>(٣)</sup> فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا<sup>(٤)</sup> فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ فَيَسِيرُنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تَلَكَّ وَقَفَلَ دَنُونًا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ آذَنَ لَيْلَةَ بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحِيلِي فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرْحَلُونِي فَأَحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَيَّ بِعَيْرِي الَّذِي كُنْتُ أُرْكَبُ عَلَيْهِ وَهُمْ

(١) لأرعدت له أنف: انتفضت واضطربت أنوفهم حمية وعصية .

(٢) ابن هشام (٢ / ٥٠ - ٥٣)، الرحيق المختوم ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٣) رواه البخاري ٤١٤١ .

(٤) غزوة غزاها: تقصد - بذلك - غزوة بني المصطلق .

يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ وَكَانَ النَّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبَلْنَ وَلَمْ يَعْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِثْمًا يَأْكُلْنَ  
 الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِيفَةَ الْهُودِجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ وَكَانَتْ جَارِيَةً  
 حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ فَسَارُوا وَوَجَدَتْ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ  
 وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ فَتِمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي  
 فِيرْجِعُونَ إِلَيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْني عَيْنِي فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِ  
 السُّلَمِيُّ فَادْلَجَ<sup>(١)</sup> مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي  
 حِينَ رَأَيْتِي وَكَانَ رَأْيِي قَبْلَ الْحِجَابِ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَرْتُ وَجْهِي  
 بِجِلْبَابِي ، وَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ<sup>(٢)</sup> وَهَوَى حَتَّى  
 أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا فَأَنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا  
 الْجَيْشَ مُوْغِرِينَ<sup>(٣)</sup> فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَهُمْ نُزُولٌ قَالَتْ فَهَلْكَ مَنْ هَلَكَ وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى  
 كِبَرَ الْإِفْكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ سَلُولٌ .

#### انتشار الدعاية بالمدينة :

فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَاسْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ  
 وَلَمْ أَشْعُرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِينِي فِي وَجْهِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
 اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي<sup>(٤)</sup> إِثْمًا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْأَلُ ثُمَّ يَقُولُ:  
 « كَيْفَ تَكُفُّ؟ فَذَلِكَ يَرِينِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَفَهْتُ وَخَرَجْتُ مَعِي أُمُّ مَسْنَحَ  
 قَبْلَ الْمَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرِّزًا وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُتَّخَذَ الْكُفُّ قَرِيبًا مِنْ بِيوتِنَا  
 وَأَمْرُنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّنْزَهُ وَكُنَّا تَأْذَى بِالْكَفِّ أَنْ تُتَّخَذَ عِنْدَ بِيوتِنَا وَالطَّلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ  
 مَسْنَحَ وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرِ خَالَةَ أَبِي بَكْرٍ  
 الصَّدِّيقِ وَأَبْنَاهَا مَسْنَحُ بْنُ أَنَاثَةَ بْنِ عَبَادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ وَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمِ قَبْلَ بَيْتِي حِينَ فَرَعْنَا  
 مِنْ شَأْنِنَا فَعَثَرْتُ أُمُّ مَسْنَحَ فِي مِرْطَهَا فَقَالَتْ تَعَسَ مَسْنَحُ لَقُلْتُ لَهَا بِنِسْمَا قُلْتُ تَسْبِينُ رَجُلًا قَدْ  
 شَهِدَ بَدْرًا قَالَتْ أَيُّ: هَتَاهُ<sup>(٥)</sup> أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ قُلْتُ وَمَاذَا قَالَ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ

(١) فادلج: سار آخر الليل .

(٢) استرجاعه: قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٣) موغرين: الوغرة شدة الحر .

(٤) رواه أحمد ٢٥٠٩٥ .

(٥) هتاه: يا بلهأه ، كأنها نسبت إلي قلة المعرفة بمكائد الناس وشروهم .

فَارْزَدَتْ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ كَيْفَ تَكُفُّمُ قُلْتُمْ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبِي قَالَتْ وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيْقَنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ أَبِي فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ فَقَالَتْ: أَيُّ بَيْتَةٍ هُوَ بَيْتُكَ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً<sup>(١)</sup> عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا قَالَتْ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقُّ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي».

اسْتِشَارَةُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عِنْدَ تَأْخُرِ نَزُولِ الْوَحْيِ:

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبِثَ الْوَحْيَ لِيَسْتَشِيرَهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ قَالَتْ فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلِيُّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءَ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَإِنْ تَسَأَلَ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقْكَ قَالَتْ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ قَالَ: «أَيُّ بَرِيرَةَ هَلْ رَأَيْتَ مِنْ شَيْءٍ يَرِيئُكَ مِنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتَ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَعْمَصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ تَمَامٌ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَعْذَرَ<sup>(٢)</sup> مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنْتِ سَلُولٍ فَقَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلِيُّ الْمُنْبِرِ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْبُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا<sup>(٣)</sup> مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ أَهْلِي إِلَّا مَعِي فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ لَقَدْ أَعْدَرْتُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِيْخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ».

أَشَارَةُ قِتْنَةِ الْإِفْكِ:

قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرْ عَلَيَّ قَتْلَهُ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لِنَقْتُلَنَّكَ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ

(١) وضيفة: الوضاعة: الحسن والبهجة .

(٢) استعذر: قال: من يقوم بعذري إن كفأته على سوء صنيعه .

(٣) الرجل: هو صفوان بن المعطل السلمي .

تُجَادِلُ عَنِ الْمُتَأَفِّقِينَ فَتَارَ الْحَيَّانَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ قَالَتْ وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَاكَ لَا يَرْفَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْفَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبْوَايَ يَطْئَانُ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي قَالَتْ فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنْتُ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِيَ فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ قَالَتْ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ .

**مُفَاتِحَةُ الرَّسُولِ ﷺ لِعَانِشَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَجَوَابُهَا لَهُ :**

قَالَتْ فَتَشْهَدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَا بَعْدُ يَا عَانِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتُ بَرِيئَةً فَسِيرْتُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ كُنْتُ أَلَمَمْتُ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهُ ثُمَّ تُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» قَالَتْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً فَقُلْتُ لِأَبِي أَجِبْ عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ فَقَالَ مَا أَدْرِي وَاللَّهِ مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لِأُمِّي أَجِيبِي عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ تُصَدِّقُونِي وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يَوْسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] .

قَالَتْ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي قَالَتْ وَأَنَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُبْرئِي بِبِرَائَتِي وَلَكِنَّ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يَتْلَى وَلِشَأْنِي كَانَ أَحَقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يَتْلَى وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبْرئِي اللَّهُ بِهَا .

**نَزُولُ الْوَحْيِ بِبِرَاءَةِ عَانِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :**

قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَجْلِسِهِ وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ النَّبِيِّ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ وَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ حَتَّى إِثْمُهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجِمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّائِي مِنْ نَقْلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ قَالَتْ

فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَأَكَ» فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قَوْمِي إِلَيْهِ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتْرِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ١١ - ٢٠] العشر الآيات كلها .

**مَوْقِفُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ مِمَّنْ تَكَلَّمَ فِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:**

فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَيَّ مِسْطَحَ لِقْرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقَرَهُ وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَارْجِعْ إِلَيَّ مِسْطَحَ التَّفَقُّةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا قَالَتْ عَائِشَةُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي وَمَا عَلِمْتَ أَوْ مَا رَأَيْتِ أَوْ مَا بَلَغَكَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي وَأَنَا مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَرَعِ وَطَفِيقَتِ<sup>(١)</sup> أَخْتَهَا حَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِفْكِ<sup>(٢)</sup> .

(١) طفقت: شرعت .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٥٨٧ - ٥٨٩) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٢٤٢ - ٢٤٨) ، سيرة الرسول أبو عمار

(٣٧٠ - ٣٧٦) .

## الدُّرُوسُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمِصْطَلِقِ وَحَدِيثِ الْإِفْكِ:

تنطوى غزوة بنى المصطلق على العديد والعديد من الدروس والعبر والعظات

منها:-

## ١- الحفاظ على السمعة السياسية ووحدة الصف الداخلية:

وهذا الدرس يظهر فى قوله ﷺ: «فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل

أصحابه» .

إنها المحافظة التامة على السمعة السياسية ، والفرق كبير بين أن يتحدث الناس عن حب أصحاب محمدٍ محمداً ويؤكدون على ذلك بلسان قائدهم الأكبر أبي سفيان: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً وبين أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، ولم يقف النبى ﷺ موقفاً سلبياً حيال تلك المؤامرة التى تزعمها ابن سلول ؛ لتصديق الصف المسلم وإحياء نعرات الجاهلية فى وسطه بل اتخذ إزاءها الخطوات الإيجابية التالية:

١- سار الرسول ﷺ بالناس يومهم ذلك ؛ حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم الثانى حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً .

وبهذا التصرف البالغ الغاية فى السياسة الرشيدة قضى على الفتنة قضاءً مبرماً ، ولم يدع مجالاً للحديث فيما قال ابن أبى .

أ- لم يواجه النبى ﷺ ابن سلول ومؤامراته المدبرة بالقوة واستعمال السلاح ؛ حرصاً على وحدة الصف المسلم ، وذلك لأن لابن أبى أتباعاً وشيعة مسلمين مغرورين ، ولو فتك به لأرعدت له أنوف ، وغضب له رجال متحمسون له ، وقد يدفعهم تحمسهم له إلى تقطيع الوحدة المسلمة ، وليس فى ذلك أى مصلحة للمسلمين ولا للإسلام ، وإنها لسياسة شرعية حكيمة فى معالجة المواقف العصبية فى حزم وقوة أعصاب وبعد نظر ، وهذه البراعة فى الحكمة والسياسة وتدبير الأمور متفرعة عن كونه ﷺ نبياً ورسولاً إلى الناس ؛ لكى تقتدى به الأمة فى تصرفاته العظيمة .

## ٢- مثل أعلى فى الإيمان:

حسده عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول فى موقفه من والده وتقديمه وإخلاصه لله ولرسوله ، وتقديم محبتهما ومراضيهما على محبة ومراضى الأبوة ، لقد ضرب الابن أروع مثل فى الإيمان والتضحية بعاطفة الأبوة ؛ عندما أتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله بلغنى إنك تريد قتل أبى بن سلول فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً فمرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى ، وإنى لأخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر قاتل أبى يمشى بين الناس فأقتله ، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار فقابله ﷺ صاحب القلب الكبير والخلق العظيم يمثل رفيع فى العفو والرحمة وحسن الصحبة بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا ، يا لروعة العفو ويا لجلال العظمة النبوية ، فقد تلطف النبى ﷺ بهذا الصحابى وهدأ من روعه وأذهب هواجسه .

## ٣- محاربة العصبية الجاهلية:

إن العصبية المقنونة والتي نصفها بالجاهلية غير مقصورة على العصبية القبلية ، أي: الاشتراك فى النسب الواحد نسب القبيلة التي ينتمون إليها ، وإنما الاشتراك فى معنى أو وصف معين يجعل المشتركين فيه يتعاونون ويتناصرون فيما بينهم بالحق والباطل ، ويكون ولاؤهم فيما بينهم على أسامى هذا المعنى أو الوصف المشترك ، فعندما كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَأَنْصَارٍ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ فَسَمِعَهَا اللَّهُ رَسُولُهُ ﷺ قَالَ<sup>(١)</sup>: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَأَنْصَارٍ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ».

ووجه الدلالة بهذا الخبر أن النبى ﷺ أنكر هذه المناداة لما تشعره من معنى العصبية ، مع أن المنادى استعمل اسماً استعمله القرآن وهو (المهاجرين) و (الأنصار) ، فالمهاجرى استنصر بالمهاجرين مع أنه هو الذى كسع ، فكانه بنداؤه هذا يريد عونهم ؛ لأنه منهم ، وكذلك الأنصارى استنصر بالأنصار لأنه منهم ، وكان حق الاثنين إذا كات لا بد من

(١) رواه البخارى ٤٩٠٧ .

الاستنصار بالغير أن يكون الاستنصار بالمسلمين ، وعلى هذا فالمطلوب من الدعاة التأكيد على نبذ العصية بجميع أنواعها ؛ سواء كانت عصية تقوم على أساس الاشتراك بالقبيلة الواحدة أو على أساس آخر من بلد أو مذهب أو حزب . . . إلخ ، وأن يكون الولاء والتناصر على أساس الاشتراك بالأخوة الإسلامية التي أقامها وأثبتها واعتبرها الله - تعالى - بين المسلمين بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠] .

وأن يكون التناصر فيما بينهم تناصراً على الحق لا على الباطل بمعنى أن ينصروا الحق وأن يكونوا معه لا مع المعتدى .

لقد أوضح رسول الله ﷺ أن العصيات هي من دعاوى الجاهلية وقال<sup>(١)</sup>: «لِيُنْصَرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ» .

فجعل التناصر في طلب الحق والإنصاف وأبطل المفهوم الجاهلي: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً<sup>(٢)</sup> .

كما تنطوى قصة الإفك على آداب ودروس منها:

١ - بشرية الرسول ﷺ :

جاءت محنة الإفك منظوية على حكمة إلهية استهدفت إبراز شخصية النبي ﷺ وإظهارها صافية مميزة عن كل ما قد يلتبس بها .

فقد فاجأت هذه الشائعة سمع النبي ﷺ وهو في طور من إنسانيته العادية ، يتصرف ويتأمل ويفكر كأي أحد من الناس ضمن حدود العصمة المعروفة للأنبياء والمرسلين ، فاستقبلها كما يستقبل مثلها أي بشر عادي من الناس ليس له اطلاع على غيب مكنون ولا ضمير مجهول ولا على قصد ملفق كاذب ، فاضطرب كما يضطربون وشك كما يشكون ، وأخذ يقلب الرأي على وجوهه ، ويستنجد في ذلك بمشورة أولى الرأي من الصحابة .

وكان من مقتضى الحكمة الإلهية في إبراز هذا الجانب الإنساني المجرد فيه ﷺ أن

(١) رواه مسلم ٢٥٨٤ .

(٢) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٢٣٧ - ٢٤٠) .

يتأخر الوحي كل هذه الفترة التي تأخرها ؛ كى تتجلى للناس حقيقتان ؛ كل منهما على غاية من الأهمية ؛ أما الحقيقة الأولى فهي أن النبي ﷺ لم يخرج بنبوته ورسالته عن كونه بشراً من الناس فلا ينبغي لمن آمن به أن يتصور أن النبوة قد تجاوزت به حدود البشرية فينسب إليه من الأمور أو التأثير فى الأشياء ما لا يجوز نسبه إلا لله وحده .

وأما الحقيقة الثانية فهي أن الوحي الإلهى ليس شعوراً نفسياً ينبثق من كيان النبي ﷺ كما أنه ليس شيئاً خاضعاً لإرادته أو تطلعه وأمنيته إذ لو كان بذلك لكان من السهل عليه أن ينهى هذه المشكلة من يوم ميلادها ويريح نفسه من ذيولها ونتائجها ، ويجعل مما يعتقد من الخير والاستقامة فى أهله قرآناً ، يطمئن به أصحابه المؤمنين ويسكت الآخرين من أصحاب الفضول ؛ ولكنه لم يفعل لأنه لا يملك ذلك .

ولقد كانت السيدة عائشة رضى الله عنها أول من تجملت لها هاتان الحقيقتان ؛ حتى ذهبت فى توحيدها وعبوديتها لله وحده مذهباً أنساها ما سواه ومن سواه ؛ فلذلك أجابت أمها حينما طلبت إليها أن تقوم فتشكر النبي ﷺ قائلة: لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذى أنزل براءتى .

إن هذا الكلام من السيدة عائشة قد يبدو وكأنه فيه شيئاً من عدم اللباقة تجاه النبي ﷺ غير أن الظرف والحالة هما اللذان أمليا عليها هذا الكلام ؛ فهي إنما انسقت بوحي الحالة التى كونتها الحكمة الإلهية ؛ تهيئة لعقيدة المؤمنين وقطعاً لإفك المنافقين والملاحدين وإظهاراً لمعنى التوحيد والعبودية الشاملة لله وحده .

٢ - حد القذف وأهميته فى المحافظة على أعراض المسلمين:

إن الإسلام حرم الزنا ، وأوجب العقوبة على فاعله كما حرم أيضاً كل الأسباب المسببة له وكل الطرق الموصلة إليه ؛ ومنها إشاعة الفاحشة والقذف بها لتنزيه المجتمع من أن تسرى فيه ألفاظ الفاحشة والحديث عنها ؛ لأن كثرة الحديث عن فاحشة الزنا وسهولة قولها فى كل وقت يهون أمرها لدى سامعيها ويجرئ ضعفاء النفوس على ارتكابها ، لهذا حرمت الشريعة الإسلامية القذف بالزنا وأوجبت على من قذف عفيفاً أو عفيفة طاهراً أو طاهرة بريئاً أو بريئة من الزنا حد القذف وهو الجلد ثمانون جلدة وعدم قبول شهادته

إلا بعد توبته توبة صادقة نصوحاً<sup>(١)</sup> .

وفى قصة الإفك رأينا أن النبي ﷺ أمر بأولئك الذين تفوهوا بصريح القذف فضربوا حد القذف ثمانون جلدة وليس في هذا من إشكال ، إنما الإشكال في أن ينجو من الحد الذي تولى كبر هذه الشائعة وهو عبد الله بن أبي ابن سلول<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر ابن القيم وجه الحكمة في عدم حد عبد الله بن أبي فقال:

١- قيل: لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة ، والخبيث ليس أهلاً لذلك وقد توعد الله العذاب العظيم في الآخرة ويكفيه عن الحد .

٢- وقيل: كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه .

٣- وقيل: الحد لا يثبت إلا ببينة أو إقرار ، وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد ؛ فإنه كان ينكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه ولم يكن يذكره بين المؤمنين .

٤- وقيل: بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته عليه ، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مراراً ، وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم من الإسلام ، ثم قال - في ختام كلامه - ولعله ترك لهذه الوجوه كلها<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

(١) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٢٥٢) .

(٢) فقه السيرة للبطوني ٢٢٤ .

(٣) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٢٥٣) .